مشاهد الوداع

عبدالقادر الشيباني

□ .. إنتقال الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات إلى جوار ربه في ساعات مرضية من شهر رمضان المبارك ، ومن لحظة توقف قلب المناضل عرفات في فجر الخميس الثامن والعشرين من الشهر الكريم ١٤٢٥هـ الموافق ١١ نوفمبر ٢٠٠٤م حتى عصر الجمعة التاسع والعشرين من شهر رمضان والعالم ينتظر ويترقب عن كثب ما مصير فلسطين بعد غياب القائد الفلسطيني الكبير ياسر عرفات؟ ومن ساعة اذاعة بيان النعي برحيل عرفات وكل عوالم الأرض مشدودة الانظار إلى القنوات الفضائية والأرضية خاصة وقد كانت المراسم الفرنسية من الدرجة الأولى مهيبة إحتفاء وكرما لزعيم عظيم.

● بحيث لم يشهد التاريخ تواصل جنازة من العصر حتى العصر مرورا بثلاث دول هامة.

● كم كانت تلك اللحظات مهيبة وسط مراسم التشييع وإقلاع المروحية العسكرية بجثمان عرفات من مستشفى (بيرسي) الذي نقل إليه من رام الله إلى المطار الفرنسي (فيلاكوبليه) وسط أجواء ضبابية باردة ورذاذ مطر خفيف.

● بات العالم يتابع باهتمام بالغ تاركا كل أموره وشؤونه الخاصة مراسم التشييع والوداع من فرنسا إلى القاهرة إلى المحطة الأخيرة رام الله التي صمد فيها وفرض فيها عليه الحصار.

● إنها مشاهد احتفائية مهيبة تأبينية تجرى لأول مرة لزعيم عربي فذ من العاصمة الفرنسية ، مرورا بالقاهرة واجراء مراسم التشييع بحضور كبار الزعماء والملوك والقادة العرب قيل عنه ليل تشييع جنازته (إنه أبرز وأحنك شخصية في حركة التحرر العالمية في القرن العشرين).

● كم تعرض أبو عمار للنيل من شخصه ومواقفه الشجاعة وهو صامد.

● وكم كان يخرج سالما من بين رماد المحاولات لاغتياله ومن كل صولة وجولة تجري جولة.. حتى عندما فرضت عليه دولة اسرائيل أخيرا طوق الحصار ظل صامدا لا تلين له قناة ، ظل أبو عمار صامدا بشجاعة وتحد رغم الحزام الناري الذي طوقته به اسرائيل في رام الله لما يقرب من ثلاثة أعوام.

نعم ..إنها صفات نادرة في القادة التاريخيين.

● والقاهرة كانت محطة من محطات عرفات المحببة فهي مهد حياته ونشأته ودراسته ففيها توقدت طموحاته وتصاعدت أشواقه ونذر نفسه للنضال من أجل فلسطين وتحرير فلسطين.

● وكان يوم الجمعة اليوم الأخير للوداع فقد حضر الى القاهرة رؤساء وملوك وزعماء وقادة من ممثلي الدول الصديقة لوداع الرمز المجاهد ياسر عرفات.

● وفي نفس اليوم أقيمت جنازات تعبيرية رمزية في بعض المدن العربية والمجتمعات المحبة لابو عمار.

وكانت مشاهد رام الله عصر الجمعة ٢٩ رمضان عند وصول الأربع المروحيات من القاهرة وهبوط الطائرة المروحية الخاصة التي نقلت جثمان الراحل أبو عمار وتدافعت الجماهير بعشرات الآلاف لالقاء النظرة الأخيرة على زعيمهم الخالد ياسر عرفات بعاطفة جياشة وحزن على فراقه قالوا: (إن جنازة بهذه المهابة لم تشاهد في التاريخ إلا للقلائل من الرموز التاريخية).

بعيدا عن التمني.. والإحباط!

□ .. تفقد السياسة رشادتها وعلميتها اذا وقعت فريسة لمشاعر التمني أو الاحباط سواء كان ذلك على المستوى الفردي أو الجماعي، وليس من المبالغة في شيء القول بأن العلاقات العربية الأمريكية تعاني وبشدة من التأرجح بين قطبي التمني تارة والاحباط تارة أخرى، ومن ثم تفقد في كثير من الاحيان، في الجانب العربي بالطبع، الكثير من رشادتها ومن ثم قدرتها على التأثير والفعل ومن ثم تتخفى او تنزع إلى التخفي وراء سيل من الافتراضات والتطورات التي تحرص فقط على القاء كل المسؤولية على الآخر أو الآخرين وذلك حتى لا نقع تحت وطأة الشعور بالذنب او التقصير.

د. عبدالحميد الموافي

وباختصار شديد فإنه بغض النظر عن المشاعر المتداخلة والمتناقضة على الساحة العربية والتي حملت قدرا غير قليل من عدم التطابق بين الرسمي والشعبي حيال الانتخابات الأمريكية الاخيرة وفوز الرئيس بوش بفترة رئاسة ثانية، فإنه من الطبيعي ان السنوات الأربع القادمة ستتأثر بالضرورة ليس فقط برؤية الرئيس الامريكي للموقف في الشرق الأوسط بقضاياه المختلفة، ولكن ايضا بكيفية ادراكه للمصالح الامريكية ولعلاقة الاطراف بها ولطبيعة تلك الأطراف وأهميتها وأوزانها وقدراتها على التأثير كذلك. ومن ثم يخرج الأمر بالتأكيد عن دائرة التمني من جانب بقدر ما يبعد من أطار الاحباط وندب الحظ العاثر من جانب آخر.

ومن بين عوامل عديدة تؤثر في سياسات الولايات المتحدة باعتبارها القوة الكونية الوحيدة حيال الأوضاع في الشرق الأوسط، فإن من ابرزها ثلاثة هي ادراك القيادة الامريكية لمصالح الولايات المتحدة، والعنصر الاسرائيلي "الصهيوني" والعنصر العربي وفي ظل تفاعلها معا تتحد مواقف وسياسات واشنطن وبالتالي العلاقات العربية الأمريكية.

بالنسبة للادراك الأمريكي للمصالح في المنطقة، فإن أسس هذا الادراك لم تتغير لأن الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة لم تتغير، ولكن احداث ١١ سبتمبر أدخلت عنصرا جديدا إلى ادراك القيادة الأمريكية الحالية يرتبط بحجم وطبيعة ومدى الخطر الذي يمكن ان تسببه الرياح التي تهب من المنطقة عندما تصل إلى الولايات المتحدة. وهذا الادراك للخطر المتمثل في "الإرهاب" بدأ يؤثر على اسلوب التعامل الامريكي مع دول المنطقة وعلى موقف واشنطن من قضاياها وذلك من أجل الحفاظ على المصالح الكبيرة لواشنطن فيها والتي لن تفرط فيها واشنطن بالتأكيد تحت أي ظرف من الظروف.

أما بالنسبة لما يتصل بالعنصر الاسرائيلي "الصهيوني" فإنه يمتد عبر علاقة معقدة ومتشابكة بين اسرائيل وبين جماعات الضغط الصهيونية وابرزها لجنة "ايباك" وصولا إلى المؤتمر اليهودي العالمي. ومن المؤكد انه من غير الممكن تبسيط المسألة في مجرد ضغوط يتم ممارستها عبر بعض المؤسسات اليهودية والصهيونية او من خلال تيار المحافظين الجدد لأن المسألة أعمق من ذلك بكثير بحكم النجاح الاسرائيلي في فهم العقلية الامريكية والتعايش معها والارتباط العضوي بها عبر العديد من المؤسسات واللجان التي تعيش وتعمل في المجتمع الامريكي باعتبارها جزءا من نسيجه العضوي. ويسهم ذلك في تحقيق التفاهم والتقارب السريع والعميق بين اسرائيل وأية ادارة امريكية وقد وصل ذلك إلى ذروته في ظل الادارة الحالية لأسباب موضوعية على الجانبين.

أما بالنسبة للعنصر العربي فإنه سجل فشلا واضحا في التعامل مع الولايات المتحدة والادارات المتعاقبة، صحيح هناك زيارات على مستويات رفيعة، وهناك محادثات سياسية واقتصادية وبيانات وتصريحات مشتركة، ولكن الصحيح كذلك ان الامريكيين ادركوا وبوضوح شديد ان مصالحهم في المنطقة العربية لا تتعرض لتهديدات حقيقية، وان واشنطن تحصل على كل ما تريده وفي الوقت الذي تريده بغض النظر عن أية مواقف علنية لهذا الطرف او ذاك، والاخطر من ذلك ان العرب يقدمون انفسهم إلى واشنطن كأطراف متعددة، وكمصالح فردية وليس كطرف واحد يرتكز إلى رؤية مشتركة واحدة واضحة ومحددة.

وبالتالي فإن الولايات المتحدة لا تكاد تصادف مشكلة حقيقية في تعاملها مع الجانب العربي، اللهم الا بعض الانتقادات الاعلامية او التصريحات التي يدرك المسؤولون الامريكيون انها ليست موجهة اليهم. ومن هنا تتسع الفجوة بين ما يجري على ارض الواقع وما يحكم السياسات الامريكية من عوامل وحسابات موضوعية من وجهة النظر الامريكية بغض النظر عن الرؤية العربية لها وبين ما يتقاذف العرب من هيجان التمني تارة أو قنوط الاحباط تارة أخرى، وطالما انهم لم يمتلكوا القدرة على تغيير عناصر المعادلة فسيظلون موضع تأثير وفعل ليس فقط خلال الفترة الثانية للرئيس الامريكي ولكن ايضا خلال فترات رئاسة امريكية عديدة حتى يستطيعوا ادراك عناصر قوتهم والأهم من ذلك ادراك كيفية ادارة تلك العناصر لصالحهم.

حاجيات العيد .. والفوضى .. والتربية السلوكية

■ قال عزوجل في محكم كتابه الكريم «والسماء رفعها ووضع الميزان» صدق الله العظيم .. نستدل من هذه الآية الكريمة بان الخالق جل شأنه عندما خلق الارض والسموات وفق نظام دقيق لاتفاوت فيه ولا اختلال .. وهو بذلك يضرب لنا الامثال لتكون عبرا « بكسر العين» نأخذ بها ونتفكر فيها لتكون بذلك لنا مرشداً نقتفي اثره مساراً نسير عليه .. فالنظام الدقيق والموزون يتطلب آن نكون عليه نحن البشر .. نبتعد عن الفوضى والارباك في كل أمور حياتنا صغيرها وكبيرها .. خاصة كانت او عامة .

سامي الحداد

● الا اننا وللأسف الشديد لا نعمل بما أمر به عز وجل ولانقتفيه ولا نسير على هداه في حياتنا اليومية .. فكل شيء لدينا مضطرب .. ونفتقر الى ابسط مقومات النظام .. والدقة والترتيب وعلى سبيل المثال .. ونحن نعيش أيام عيد الفطر المبارك وقبله بأيام قلائل .. وعندما كنت في جولة شرائية .. في شوارع مدينة تعز واسواقها وفي سياق نظرة متأملة لما هي عليه تلك الأسواق والشوارع هالني مارأيت .. وجحظت عيناي مشدوهتين لذلك الوضع المتسم بالفوضى والارباك والاضطراب فالشوارع قد اغلقت ويتعذر على الموتورسيكل لا العربة السير او اختراق الشارع ويصعب على الشخص النفاذ بين ذلك الزحام والذي اختلط فيه الحامل بالنابل .. ومن يحترم نفسه لابد وان يسير بحذر شديد خوفاً من ان يلمس جسده جسدا محرما عليه فتارة ينحني يميناً وأخرى شمالاً .. في الوقت الذي يجد فيه آخرون فرصة يتطلب اغتنامها من ذلك الزحام .. والذي لايتكرر الا في أيام معدودة من السنة .. فمنهم من يرون في ذلك اشباع نزوة وآخر يستل ما يستطيع من جيب هذا او حقيبة تلك .. وكل له مراد .

● وإزاء ذلك الوضع وبالرغم من الجهود التي بذلت من قبل المجلس المحلي للمحافظة الا انه وطبقا للمثل القائل «الطبع غلب التطبع» فمهما بذلت من جهود ومهما انفقت من اموال .. فلازال المشغوفون بالفوضى مصرين على ان يبقى الوضع كما هو عليه ..

● وبهذا الاتجاه وحيال ذلك .. ولمعالجة لهذه الاشكال .. أي فيما يتعلق بالباعة المتجولين .. وإزاء من يطربون لرؤية القمامة تطفح من البراميل ويطربون لسماع ازيز اصواتها ورفرفة اجنحتها .. فان الأمر بوجهة نظري .. لايتطلب وضع برنامج عمل وآلية تنظيم ذلك الاضطراب وتلك الفوضى بل الى تربية سلوكية وذلك انطلاقا من ايماني العميق بان أي سلوك تراكم خلال سنوات لايمكن تغييره بلحظة زمنية او بقرار صادر عن المجلس المحلي .. بل الى وقت والى جهود متتابعة ومتلاحقة تصوب باتجاه احداث التغيير السلوكي المطلوب .. وحجتي اليقينية في ذلك .. مابذلت من جهود وما وضعت من برامج وآليات الا انها تبخرت وتبدت كالدخان .. وكأنها شيئ لم يكن .. فلم نجد سوى التهام الطاقات وابتلاع الامكانات .. ولا سوى ذلك او غيره .

● ولا يبقى امامنا سوى ان نترقب ذلك الموعد الزمني .. الذي سنتعلم فيه النظام .. ومسبوق بالطبع بتربية سلوكية مكثفة من قبل الجميع وسنلحق فيه من سبقونا فتتلامس عندها اصابع اقدامنا باعقاب اقدامهم وهو ما نأمله ونتطلع اليه بشوق وبشغف بالغين .

مامعنى أن تكون حرب واشنطن وحلفائها على العراق حرباً غير شرعية؟

د/علاء أبو عامر ●

■ مبدأ الحرب كأداة للسياسة الخارجية تم الحد منه في ظل ميثاق عصبة الأمم ثم حظره ميثاق باريس ثم ميثاق هيئة الأمم المتحدة.

وصف كوفي عنان الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة الحرب التي شنتها الولايات المتحدة وحلفائها على العراق بأنها حرب غير شرعية وانها تمثل انتهاكا للقانون الدولي ولا تتفق مع ميثاق هيئة الامم المتحدة وقد اكد الرئيس الفرنسي جاك شيراك ووزير خارجيته وكذلك رئيس وزراء اسبانيا ثباتيرو مقولات عنان هذه مؤكدين بدورهم ان ماحصل هو حرب غير شرعية وخارج نطاق القانون الدولي.

هذه العبارات القانونية لم تكن جديدة بل كانت قد قيلت قبل واثناء العدوان وهي تخفي في طياتها معان اخرى ربما لم يكن في وسع عنان قولها صراحة وهي ان هذه الحرب التي تفتقر للشرعية الدولية والقانونية هي بمعنى آخر حرب عداونية استهدفت للنيل من سيادة واستقلال دولة عضو في المنظمة الدولية.

وكما هو معروف لدى رجال القانون الدولي والخبراء في العلاقات الدولية فان الحرب كأداة للسياسة الخارجية قد تم الحد منها في ظل ميثاق عصبة الامم ثم حظرها ميثاق باريس(بريان-كليوغ) ثم ميثاق الامم المتحدة وبموجب اتفاق باريس اعلنت الدول المتعاقدة انها تدين اللجوء الى الحرب لفض المنازعات الدولية وانها ترفضها كأداة للسياسة القومية ويحظر ميثاق الامم المتحدة كل استعمال للقوة في العلاقات الدولية باستثناء اعمال الردع الجماعي المشار اليه في الفصل السابع والدفاع الشرعي الفردي والجماعي عن النفس الذي تنص عليه المادة ٥١ من الميثاق.

وقد عرفت هيئة الامم المتحدة من خلال لجنتها الخاصة التي شكلت في عام ١٩٦٧م لغرض تعريف العدوان بقولها :

١- ان العدوان هو استخدام القوة المسلحة بواسطة دولة ضد السيادة الوطنية او السلامة الاقليمية او الاستقلال السياسي لدولة اخرى وفي اي صورة لاتتفق مع ما اشتمل عليه ميثاق هيئة الامم المتحدة من مبادئ واهداف.

٢- ان المبادأة باستخدام القوة المسلحة من جانب احدى الدول بما يتناقض والميثاق يوفر الدليل على وقوع عمل من اعمال العدوان الا ان ذلك يجب الا يتعارض مع حق مجلس الأمن الدولي تمشيا مع ماكفله له الميثاق في هذا الصدد في ان يقرر ان الفعل الذي وقع لاينطبق عليه وصف العدوان وذلك بالنظر اما الى الملابسات التي احاطت بوقوعه او لعدم اشتماله على درجة مناسبة من الخطورة او التهديد.

٣- انه تمشيا مع النص السابق فان الافعال الآتية التي تصدر عن الدول حتى وان لم يسبقها اعلان الحرب تكفي لأن تشكل عملا من اعمال العدوان وهي:

(أ) الغزو أو الهجوم الذي تشنه القوات المسلحة لاحدى الدول ضد اقليم دولة اخرى وكذلك الاحتلال العسكري الذي ينتج عن هذا الغزو او الهجوم حتى وان اتصف بطابع مؤقت . كذلك يعد عدوانا الضم بوسيلة القوة لاقليم دولة اخرى سواء شمل الضم الاقليم كله او اقتصر على بعض اجزاء منه.

(ب)سماح احدى الدول لدولة اخرى بأن تستخدم اقليمها لممارسة العدوان ضد دولة ثالثة.

٤- انه لايجوز الالتجاء الى اية اعذار سياسية أو اقتصادية او عسكرية أو غيرها لتبرير العدوان.

٥- وقد اعتبرت هذه الوثيقة القانونية الحرب العدوانية ضد السلام الدولي وان العدوان لابد وان يقترن به تحديد المسئولية الدولية كما ان التوسع الاقليمي او ماشابهه من النتائج التي تتحقق عن اقتراف العدوان لايمكن ان يعترف بشرعيتها.

ونستنتج مما تقدم ذكره وبحسب رأي فقهاء القانون الدولي العام ان جريمة العدوان تشكل جريمة حرب بامتياز تلك التي تشمل جميع الجرائم الأخرى وتقود اليها فان احدا لايكون ملزما بالوفاء بقواعد قانون الحرب ازاء الطرف المتحارب الذي تعدى على اولى تلك القواعد فاتحا بذلك ابواب الحرب ،وبعبارة اخرى فان الدولة المعتدية تضع نفسها خارج اطار القانون وبناء على ماتقدم ايضا فان الافراد المسئولين عن اعداد وشن حرب عدوان يصبحون بذلك مسئولين جنائيا.

وهو يعني ايضا فيما يعني ان من حق بل من واجب الشعب الذي تعرض للعدوان أي الشعب العراقي استخدام القوة دفاعا عن حقه في تقرير المصير والحرية والاستقلال وهو حق يكفله ميثاق الامم المتحدة وقد نوهت المادة(د.٧) بصفة خاصة على حق الشعوب التي ترزح تحت الاحتلال او تلك التي تحكمها انظمة عنصرية او تخضع لغير ذلك من مظاهر التسلط الاجنبي في أن تقاوم بكل الوسائل الممكنة بما في ذلك القوة المسلحة نفسها بل من واجب الدولة المعتدية ان تقدم تعويضا عن الخسائر المادية والمعنوية التي حدثت نتيجة العدوان للدولة المعتدى عليها وهو الأمر الذي طالب به عدد من الساسة العراقيون كان من بينهم السيد اياد السامرائي من الحزب الاسلامي العراقي الذي طالب الولايات المتحدة وحلفاءها بتعويض العراقيين بقوله(قبل الحرب، كنا نقول انه لم تعد هناك اسلحة دمار شامل والمعلومات تقول ان الرئيس صدام حسين الغى البرنامج فأسلحة الدمار كانت نوعا من الذريعة استندت الى معلومات خاطئة لاحتلال العراق) واعتبر ان من واجب المجتمع الدولي ان يعوض العراق عن الدمار جراء الحرب فعندما تكون الحرب غير مشروعة من حقنا المطالبة بتعويضات وانسحاب القوات الامريكية.

ومن جهتها قالت سهى سعيد العزاوي رئيسة جمعية سميراميس للدفاع عن حقوق المرأة وعضوة المجلس الوطني المؤقت (اذا ثبت خلو العراق من اسلحة الدمار الشامل فمن الطبيعي ان تمنح واشنطن تعويضات للشعب العراقي عن جميع الاضرار التي اصابته) وأضافت: يتعين على الولايات المتحدة ان تسحب قواتها وتقدم اعتذارا وذلك بموجب اتفاقيات جنيف وبالتالي ستنتفي الاسباب المعلنة للحرب واضافت (ان المشكلة تكمن في ما يقوله الامريكيون عن اسلحة الدمار والقصف والقتل اليومي) واعتبرت ان هذا دليل على ان عنصر القوة وشريعة الغاب تحكمان عالم اليوم وليس القانون او أي مبدأ محدد فالدول الغربية التي وضعت القانون الدولي تتجاهله والمسألة تتعلق بالحق فالرهان على الشرعية الدولية يبقى رهان الضعفاء.

●استاذ العلاقات الدولية-غزة.

اصابوك يا أبا عمار!!

يحيى محمد العلمي

■ لم تكن وفاة الرئيس الفلسطيني القائد المناضل ياسر عرفات وفاة طبيعية - وان كان القدر المحتوم هو الحق الذي لا مفر منه - بل جاءت نتيجة لعدة احتمالات واسباب اقواها واقربها الى اليقين ما اوردته الكثير من الوسائل الاعلامية والصحيفة العربية والعالمية من ان المناضل ابوعمار قد تعرض طيلة حياته لاعنف واشد المؤمرات الهادفة تصفيته ومنها ذلك الحصار الذي فرضه الاحتلال الصهيوني على الرئيس عرفات في مقر اقامته بمدينة رام الله ولمدة تزيد على اربع سنوات شهد خلالها اقسى وامر انواع التعسف والعدوان مما يصعب على أي بشر تحمله والبقاء صامدا في مواجهته لبضعة أيام .. فكيف بياسر عرفات ورفاقه الابطال وقد صمدوا لهذه السنوات الاربع من الحصار الجائر الذي يتخلله العدوان تلو العدوان الظالم من قبل آلة الحرب الصهيونية الغادرة .. والى جانب ذلك الحصار الجائر فان الاحتمال الارجح والاقوى هو الاختراق الصهيوني الذي لايستبعد ان يكون السم القاتل المميت سريع الفتك والقتل هو ما اصاب ابا عمار وتسلل الى جسده الطاهر بحيث ارغمه على الاستسلام لذلك المرض الغريب والداء الغامض الذي استعصى على الاطباء تشخيصه ومعرفة علته واسبابه ووسائل علاجه ، وهو ما افقد الزعيم الفلسطيني القدرة على مقاومة المرض فاستفحل فيه متسارعا حتى افقد الرجل توازنه وحركته .. وسرعان ما تدهورت صحته وآلت حياته الى اليأس .. فما كانت الا أياما معدودة حتى اسلمت الروح الى بارئها .. ومات المناضل الكبير ياسر عرفات بفعل ذلك الداء الغامض الذي لاشك ان الايام القادمة ستكشف الاسباب الحقيقية وراء رحيل ابوعمار .. وستكون اسرائيل وعملاؤها الاذناب هم من اصابوك يازعيم المناضلين .. وعندئذ سيكون امام العرب جميعا وامام القيادة الفلسطينية والشعب الفلسطيني على الخصوص محك الخطورة البارزة والمؤامرة الشرسة التي تتعرض لها أمتنا العربية وقضيتها العادلة ، وهو ما يفرض على الجميع التنبه لمثل هذه الابعاد التي قد لاتتوقف عند التخلص من الزعيم المناضل ياسر عرفات بل قد تطال العديد من اركان النضال العربي والقومي كافة..